إنصافاً للشيخ .. وذبَّاً عن عِرضه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وبعد.

فقد استوقفني مقال بعنوان " علماء ومواقف " منشور في ميدان التوحيد للحوار التابع لصفحة التوحيد الإسلامية .. ورد فيه التالي:" تسليم فلسطين لليهود .. أفتى الشيخ الألباني بأن أهل فلسطين يجب عليهم الخروج من أراضيهم، وان يُغادروها إلى بلاد أخرى، وأن كل من بقي في فلسطين منهم فهو كافر، وذلك بحجة أن اليهود يحتلونها فوجب عليهم تركها والخروج منها [راجع المجلة الدولية عدد 168سبتمر 1993].

ولقد علق على هذه الفتوى العجيبة بعض رجال الفكر والدين في الأردن، ومنهم الدكتور علي الفقير فقال: إن هذه الفتوى صادرة عن شيطان، وأن منطق الشيخ منطق يهودي صرف، ولم يبرئ الفتوى من غاية مدسوسة قد يكون الشيخ على دراية بها .. وذلك حسب رواية المجلة الدولية " ا- هـ.

والذي آلمنا أكثر أن الإخوان قد أخذوا كلام هذا الضال الظالم على وجه الاستحسان كدليل على أن الشيخ أفتى بتسليم فلسطين لليهود .. وقول الإخوان " حسب رواية المجلة الدولية " لا يبرر لهم ولا لغيرهم نقل كلام هذا الضال الظالم .. وإطلاقاته الجائرة بحق الشيخ الواردة أعلاه ..!

فالقول:" حسب رواية المجلة الدولية " يفيد توثيق النقل .. ولا يفيد صدق النقل أو براءتنا من تبعات هذا النقل .. لو نشرناه على وجه الاستحسان والاستدلال .. ومن دون أدنى تعقيب أو رد!

لذا لزم التنبيه والبيان .. إنصافاً للحق .. وذباً عن الشيخ وعِرضه، فأقول:

أولاً: لكي نعرف الدافع الذي حمل علي الفقير على إطلاق عباراته الظالمة أعلاه بحق الشيخ .. لا بد من أن نعرف شيئاً عن سيرته، وعقيدته، ومواقفه.

فهو أولاً رجل صوفي جلد .. حاقد على السنة وأهلها وعلمائها، وبخاصة منهم شيخ الإسلام ابن تيمية .. فقد ارتضى لنفسه مرةً أن يكون حكماً بين علي الحلبي والصوفي الخبيث حسن السقاف في جدالهما حول مسألة: هل شيخ الإسلام ابن تيمية كافر أم لا .. حيث كان السقاف الخبيث يرى كفر ابن تيمية .. وذكر لي بعض من حضر المجلس أن علي الفقير بحكم صوفيته كان قلبه مائلاً مع صاحبه السقاف ..!!

وهو من جهة أخرى فقد قضى حياته وشبابه في خدمة الطاغوت كضابط في الجيش الأردني .. ومع ذلك كان يُزاول الخطابة في مسجد " حمزة " في ماركا الشمالية .. مستغلاً المنبر في الدعاية لنفسه إلى أن تمكن من دخول مجلس النواب الأردني كنائب ومشرع .. بعد أن أقسم على الوفاء والطاعة والولاء للطاغوت والدستور .. وقد سُجلت عليه وعلى مواقفه يومئذٍ مآخذ عديدة كلها تصب في خدمة وموالاة ونصرة الطاغوت ضد التكتل الإسلامي المتواجد معه في البرلمان .. مما حمل الطاغوت الأردني على أن يكافئه ويرقيه .. فقلده منصب وزارة الأوقاف الأردنية .. وما إن وصل الفقير إلى منصبه هذا الذي كان ينتظره منذ زمن إلا ووجد فرصته السانحة للانتقام من أئمة مساجد السنة في الأردن والتضييق عليهم .. ليستبدلهم بحبايبه الصوفيين وغيرهم من أهل البدع..!

فكان الرجل ــ بحكم خلفيته الصوفية وعصبيته المذهبية ـ يبغض الشيخ ناصر أشد البغض .. لا للمآخذ التي أخذت على الشيخ في مسائل الإيمان .. فالفقير أفقر من الشيخ في هذا الجانب بكثير؛ بل لأن الشيخ عالم بالحديث والسنة .. يدعو إلى السنة .. والتمسك بالسنة الصحيحة ونبذ البدع .. والتعصب المذهبي .. ومحاربة الصوفية .. والشركيات التي مبعثها عبادة القبور وتعظيمها .. حيث كان الشيخ المجدد لهذه المعاني في هذا العصر بلا منازع .. وهذا الذي أغاظ الفقير!

فإذا عرفت ذلك .. عرفت الدافع الذي حمل الفقير على ظلم الشيخ والتجني عليه .. وعرفت الدافع الذي حمله على إطلاق كلمة " الشيطان!" على الشيخ في خطبة له يوم الجمعة .. وعلى ملأ من الناس ..!

فهو كان ينتظر هفوة للشيخ لتكون مطيتـه للطعـن بالشيخ .. ومن ثم الطعـن بالسـنة .. والمنهـج السـلفي الذي يدعو إليه الشيخ ..!

لذا لا أرى أن يُصنف هذا الجاهـل الضـال ــ كمـا هـو وارد في كلام إخواننا أعلاه ـ بأنه من رجال الفكر والدين .. مع التنبيه إلى أنه لا يوجد عندنا شيء اسمه رجل ديـن .. فكل مسلم هو رجل دين .. ودنيا معاً!

ثانياً: ما يتعلق بفتوى الشيخ .. قدر الله أننـي كنـت في الأردن يوم أن أفتى الشـيخ فتـواه بخصـوص أهـالي فلسطين .. وكنت ــ بحكـم الشـغب الـذي أثـاره الفقيـر وغيره من أهل البدع ـ حريصـاً علـى سـماع كلام الشـيخ في المسألة .. وقد تمكنت من ذلك عـن طريـق السـماع إلى شريط مُسجل فيه كلام الشيخ .. وأذكر منه التـالي: أن سائلاً شكا إلى الشيخ شدة ما يعانيه المسـلمون فـي فلسطين .. وأنهـم لا يسـتطيعون أن يُظهـروا دينهـم .. وأنهم يفتنون في دينهم وغيـر ذلـك .. فمـا هـو الحـل ؟ فأجـابه الشـيخ: هـاجروا إلـى حيـث تجـدون الأمـان وتسـتطيعون أن تظهـروا دينكـم .. ولـم يـذكر الشـيخ مطلقاً أن من لم يهاجر هو كافر .. فالشـيخ مـن مآخـذنا عليه أنه لا يكفر طواغيتاً صـريحي الكفـر .. فكيـف تـراه يكفر شعباً بكامله إن لم يهاجر ..؟!!

وكذلك أخوة من ليبيا وجهوا للشيخ نفـس السـؤال: بأنهم في ليبيا لا يستطيعون أن يُظهروا دينهم .. وأنهـم يفتنون في دينهم .. فمـا هـو الحـل ؟ فأجـابهم الشـيخ: هاجروا .. وكـل مـن كـان يسـأل الشـيخ هـذا السـؤال .. بالصيغة الآنفة الذكر .. كان يجيبه بقوله: هاجروا ..!

فهل الشيخ مخطئ في جوابه هذا ..؟

أقول: جواب الشيخ من وجـه حـق وصـواب .. ومـن وجه خطأ وباطل!

أما وجه الحق في الجواب: فإنه لا شك أن المـرء إن وصل في البلد المقيم فيه إلى درجة لا يستطيع معها أن يُظهر دينه .. وأنه يُفتن في دينه .. ثم وجـد الأرض الـتي يستطيع أن يُظهر فيها دينـه .. ويـأمن بهـا علـى نفسـه وأهله .. فإن نصوص الشريعة توجب عليه الهجرة ولا بـد .. فالهجرة كما جاء ذلـك فـي الحـديث ماضـية إلـى يـوم القيامة .. لا يمكن تعطيلها أو إيقاف العمل بهـا .. واللـه تعالى حض على الهجرة في كتابه فـي أكـثر مـن موضـع

عندما تتوفر دواعيه وأسبابه، فقال تعالى:

www.abubaseer.com